

خطأ فكري رافق تدوين أحداث الطف !!

● سلمان الصفواني

الامام الحسين الى كربلاء وتآلب الأعداء على «الخارجي» ولم يطلع على الحقيقة في بادئ الأمر إلا قلائل من امراء الجيش أو من زعماء الكوفة ممن كانت أهواؤهم يزيدية .

وقد فطن الامام الحسين «ع» وأصحابه الى ما أحيط بهم من دعاية مكذوبة أظهرتهم للناس بمظهر الخوارج فحاولوا جميعهم ان يفندوا تلك الدعاية بخطبهم في القوم في أن الذي جاؤوا لمحاربته وقتله ليس إلا ابن بنت رسول الله وربحانته ، وحتى الحسين نفسه وقف بين الصفيين خطيباً قائلاً : انسبوني من أنا . . . وقد أحدث ذلك لغطاً شديداً في معسكر ابن سعد كاد ينقلب الى فتنة لولا ان تداركها القادة بالسرعة في تنفيذ المؤامرة والهجوم على الحسين .

قتل الحسين ، وسبي عياله على النحو المعروف . ولم يدع خبر قتله إلا كخارجي أيضاً الأمر الذي أدركته السيدة زينب في الكوفة فأخذت تصرخ وتعرف الناس بهؤلاء السبابا الهاشميات وما كاد الناس يعرفون ذلك حتى ضجت الكوفة بالبكاء والنحيب وكادت تحدث الفتنة مرة ثانية أيضاً لولا ان ابن زياد تداركها بصورة ما .

وحينما عرف العراقيون ان قتلهم هو ابن بنت نبيهم وانه ليس خارجياً كما قيل لهم لم يستطيعوا صبراً على هذه المأساة والخديعة التي انطلت عليهم حيناً ، فهبوا بزعامة المختار

رافقت مأساة الطف فكرة خاطئة . وقد سائر هذا الخطأ الفكري ادوار هذه المأساة ولم ينبج من ذلك كثير من المؤرخين والكتاب حديثاً .

فمن الثابت ان العراقيين قد كتبوا الى الامام الحسين «ع» طالبين اليه القدوم عليهم ، إذ لا يرون اماماً لهم غيره . وقد خرج الامام من الحجاز الى العراق ملبياً الدعوة . وكادت تنقطع أخباره في طريقه الى الكوفة . ويروي التاريخ انه لم يلتق به أحد في الطريق إلا أفراد قلائل خافوا ان يعودوا الى حواضرهم أو يذكروا شيئاً عن ملاقاتهم للإمام لئلا يتهموا من قبل أعدائه .

وفي الوقت الذي انقطعت فيه أخبار الإمام وهو في الطريق قام الولاة والعمال بدعاية واسعة النطاق في طول البلاد وعرضها مفادها : ان خارجياً خرج على الأمير ، فمن هو هذا الخارجي ؟ ومن أين ؟

الحقيقة ان أكثر الناس لم يعرفوا حقيقة هذا الأمر واستقبلوه خالي الذهن في أن الذي دعوا الى قتاله لم يكن إلا خارجياً كما أذيع فيهم . على ان أكثر الذين كتبوا الى الحسين كسليمان بن صرد الخزاعي واضرابه قد حبسوا وشدت الرقابة عليهم ومنعوا من أي اتصال بالحسين . ولم يكن وصول الأخبار بالأمر السهل ليعرف الناس ما يجري حولهم أو بعيداً عنهم . وفي هذا الجو من الارهاب الخائق وصل

يتبينوا حقيقتها إلا بعد فوات الأوان فحاولوا التكفير بدمائهم عما ارتكبوا من خطأ .
هذه ملاحظة عابرة أرجو أن يبحثها الكتاب ويوضحوا ما غمض من جوانبها التاريخية ، مؤيدة بالوثائق والنصوص ، وأمل أن أعود الى هذا الموضوع مرة ثانية بالتفصيل ، إذ لا يجوز أن يظل مثل هذا الخطأ الفكري عالقاً بالتاريخ في قضية كربلا .

الثقفي و ابراهيم النخعي وقادوا الجيوش منادين : يا ثارات الحسين ...
هذا استطراد أو استعراض موجز للحوادث التي وقعت وما رافقها من خطأ فكري ، ويتضح من ذلك ان العراقيين أو أهل الكوفة بالذات ليس كما وصفوا من الخيانة والغدر والنفاق بالشكل الذي صدره بعض المؤرخين والكتاب . وإنما انطلت عليهم دعاية مكذوبة لم

وقفه السبط

● (جعفر الهلالي)

طاوي اليوم نيرات السماء
قُ طريقاً معبد الأرجاء
ليك دويّاً مزجر الاصداء
بُ اضائته منك شمس الإباء
ض سنّاً شعّ دافق الللاء
حين تسمو لموكب الشهداء
فاكرم بيومه المعطاء

* * *

فلنّا فيك اعظمُ الابناء
خطّها منحزُ بفيض الدماء
صادقاً في عزيمة العظماء
مُ جلال في ساحة الهجاء
احاديث عزة قعساء
من ذويه وصحبه الالوفياء
تتهوى شوقاً الى العلياء

* * *

بعروش الطغاة والادعياء
طمسه في فعالها النكراء
ك لظلت رهينة استخذاء
وَار في لاهب الهدى الوضاء
رُ ومالاح بارق في السماء

وقفه السبط في ثرى كربلاء
وتحدي دنيا الضلالة بالحد
واملاي الكون من شموخ معا
يا هدى الثائرين إن أغتم الدر
إن ذاك الدم الذي صبغ الار
لم يزل يصنع النفوس كبراً
هكذا السبط كان في يوم ذكره

وقفه السبط إن اعدناك ذكراً
قد لمحنا الجهاد فيك سطوراً
وعرفنا التصميم فيك مثلاً
وخبّرنا النفوس فيك إذا حُ
فبارض الطفوف سجلها السبط
حين للفدي راح يُزجي نفوساً
رات العزُ بالممات فاضحت

يا ابا الثورة التي قد اطاحت
صنّت دين الإله حين ارادت
انت حررت امة هي لولا
قد رسمت الطريق بعدك للث
فسلام عليك ما بقى الده



وقعة الطف مأثرة عربية

● جلال السيد(*) دير الزور

الزمن ، وما كانت سنة الخليفة ترضى إلا أن يستمر الزمن .

الحسين نجم تألق كي يسجل على هذه الأرض معاني المثالية والخلوص .

والحسين دفقة من دفقات الحياة الصاعدة تعالت على القواعد وشذت عن السنن فما ساقتها الغريزة الى حب الحياة ولا استجرها ألف هذا الهواء الى النزول نحو المادية والدعة والاستكانة والسكون .

الحسين بسمه على فم الدهر ، عجز الدهر عن التنسيق بينه وبين مخلوقاته .

والحسين ركب الدرب الخشن كي يوفق بين القول والعمل ، وبين الدعوى والتطبيق ، وبين الظاهر والباطن .

والحسين شعاع من الحق انقذ يحتمل استعداد هذا الكون لقبول مثل هذا الشعاع فلم يجد الاستعداد فاختفى الى أن تصلح في الكون امكانياته . ولعله ينبعث من بعد مثل هذا الشعاع ، لقد كانت النبوة لرجل واحد وكان القدر في خدمته ، يمشي في ركابه ، فلا عجب

كما تنفصل الأقمار من الشمس ، وتبقى خاضعة لحركة الشمس ومنقادة لها بجاذبية هي سر من أسرار الكون ، فإن محمداً قد فصل من تكوينه الخاص قطعاً بمثابة الأقمار من الشمس تتجه اتجاهاً وتأخذ سمعته ، ويكون لها مفعول بنسبة ما تحوي في ثناياها من خاصة التفوق والصعود .

والحسين بن علي جزء من تكوين محمد فهو لن يستطيع بحكم هذا التكوين إلا أن يخضع للاتجاه العام المقدر من الأزل والذي كتبه يدا الإله وحددته مداه وعينت خطته .

وفي الطف قد انكشف هذا المدى وتبين هذا الاتجاه . وقد ضاقت البيئة وعجز الجو عن احتواء ما ليس من نوعه ، ولم يتشبث القدر في الخروج على خطته فيصنع المعجزات ، وكان على التكوين السامي المتميز عن محيطه ان يختفي وان يتلاشى .

وما كان الحسين بن علي من مادة الزمن الذي عاش فيه ليستطيع الانسجام معه والركون الى مقتضياته ، فإما أن يختفي الحسين وإما أن يحق

* جلال بن أحمد السيد ، ولد في دير الزور ١٩١٣م ، عين رئيساً لمكتب أملاك الدولة في الحسكة ١٩٣٢م ، مثل دير الزور في المجلس النيابي ١٩٦١ ، وشغل منصب وزير الزراعة ونائب رئيس مجلس الوزراء . اشترك في مؤتمر عصبة العمل القومي في قرنايل ١٩٣٣ ، ومؤتمر البعث التأسيسي ١٩٤٧ وكان رئيسه ، أصدر مجلة الثقافة في دير الزور (١٩٤٦ - ١٩٤٧) صدر له : (حقيقة الأمة العربية وعوامل تجزئتها ووحدتها) بيروت ١٩٧٣ ويقدم حالياً في (دير الزور) - سوريا .

المثالية وعلى الحق الى ان يحين انتصار المثالية والحق ، فتقذف أرحام من يعرب ، وقد تكون من بيت الحسين أمثال الحسين يملؤون الدنيا عدلاً ونوراً .

مشى الحسين الى الموت مشية مؤمن بالله فلا يدري - وليس من شأنه أن يدري - ان هناك شيئاً تعافه النفس وتتقيه اسمه الموت .

مشى الحسين الى احقاق الحق بعد ان استعلى على المادة وترفع عن الحساب والعد ، والمقارنة بين القوة والضعف والكثرة والقلّة .

لقد استوت عند الحسين الحياة والموت ، وهكذا تستوي الحياة والموت عند هذا الصنف الذين نفحهم الله روحاً من عنده في السمو والعلاء .

ان وقعة الطف من وقائع المجد في تاريخ العرب وان سلوك الحسين فيها من دواعي الاعتزاز والفخر ففي كل فترة يقذف العرب الى الوجود بموجة مساوية ودفقة روحية وحركة مثالية ، وما هي الا فترات اخرى حتى يعقب الجو برائحة المثالية والعلو فتأتي الدفقة العربية فتجد الجو ملائماً فتحته ويكون من أمرها ما يكون .

هذا ما نفهمه من وقعة الطف . ولسنا نفهم منها حوادثها الشكلية ووقائعها المادية ، لننصر فريقاً وننقم على فريق ونحن نعلم ان طبيعة التفاعل العربي يومذاك تقتضي مثل تلك الوقعة ، وما لنا نصب جام الغضب على أمة قد خلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت .

إذا لم يحقق القدر لعلي وللحسين مثل ما حقق لذي النبوة ، وان سارا سيرة النبي وترسما خطاه .

ان الأحياء إما يشترط بقاءها وغوها أن تسائر شروط المحيط الذي تعيش فيه ، وأنّ للكتلة التي صيغت من مادة الملأ الأعلى أن تستطيع العيش في جو الغرائز والميول والأهواء واللحم والدم .

من منا يستطيع ان ينزل الحسين منزلة الناس فيطعم له بملك أو خلافة أو طول بقاء ؟ وهو إنما قدّ من مادة النبوة وكللتة هالة من حالات الملائكة وصانته عن الدنيا أرحام تحدر منها وأصلاّب ليست من نمط هذه البشرية ولا من تكوينها .

الحسين تذوق طعم العدالة والحق بشكل تلقائي ينبع من صميمه . فلما لم يجد العدل والحق شائعين اندفع الى مقاومة الذين لم يراعوا الحق والعدل ، وما كان في سيرته شيء من الفر والتراجع والتقهقر ولكنه مشى مشية العدل والمثالية والثبات ، فلم يلتو ، ولم يتضعضع ولا لانت قناة : كر ، واقدام ، واندفاع ، وللمنايا أن تكون بعد ذلك محتومة .

نقد كان في الطف صراع . صراع بين الدنيا والآخرة ، وبين الحق والباطل ، وكان صراع بين المثالية والمادية ، الحق محدود الجوانب ، والمثالية لم تحتصر في مخلوقات الله وما نال منها إلا نفر اختاره الله ليكون عنده من المكرمين .

ومن خير الدنيا وما فيها من طباع يأنفها الكريم يقرر بأن الهزيمة الموقته ستكون على